الإمبراطور فريدريك الثاني وحركة الترجمة في صقلية وأثرها على اللغة العربية

د. أمال سليمان عبد الحميد الزوي

المقدمة

وتعتبر الترجمة فنا مستقلا بذاته حيث أنه يعتمد على الإبداع والحس اللغوي والقدرة على تقريب الثقافات وهو يمكن جميع البشرية من التواصل والاستفادة من خبرات بعضهم البعض. فهي فن قديم قدم الأدب المكتوب.

وكان الإمبراطور فريدريك الثاني (ت ٦٤٨ هـ – ١٢٥٠ م) الذي تلقى علومه على يد المعلمين العرب(١٢)، يشرف على تدريس العلوم العربية في قصره ببالرمو، كما ألف عددا من الكتب باللغة العربية وترجم بعضها إلى اللاتينية. وفي سنة (٦٢١ هـ – ١٢٢٤ م)، أنشأ جامعة نابولي لتدريس ونشر علوم العرب وآدابهم وقد أعجب فريدريك الثاني بالثقافة العربية الإسلامية وشجع دراستها والترجمة منها. وأصبحت صقلية في عهده مركزًا هامًا لانتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا. وقد أغضب اهتمامه هذا رجال الدين النصرانيين فاتهموه بالهرطقة أو الخروج عن الدين.

وتكمن أهمية هذا الموضوع في أن هذه الفترة جزء من تاريخ اللغة العربية وتطورها عبر العصور التاريخية، دور الترجمة في النهوض باللغة العربية ، مع التركيز على دورالذي قام به فردريك الثاني حيال التراث العربي ونشره إلى أوربا بطريقة غير مباشرة، وذلك عند طريق الانتفاع بهذا التراث في وضع أساسا جامعة بولونيا ونابولي،

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج التاريخي السردي التحليلي ، الذي يعتمد على سرد المعلومات بشكل محدد مما يخدم عناصر الموضوع ، ثم نقوم بتحليل بعض الجوانب الغامضة بغية الوصول إلى نتائج محددة هذا الحدث بغية الوصول إلى نتائج محددة حتى نصل في النهاية إلى تحديد أهم سمات المرحلة وخصائصها بشكل عام.

أولاً: أوضاع صقلية قبيل حكم الامبراطور فردريك الثاني

١-الغزو الإسلامي لجزيرة صقلية

بداء الخليفة معاوية ابن سفيان في اعداد حمله بحرية بقيادة معاوية الكندي لستكمال عملية الفتح التى قام بها فى جزر البحر المتوسط ،فانطلق هذا الاسطول من شواطىء سوريا، وتابع عبد الله بن قيس الفزاري قيادة هذا الأسطول، فوصل صقلية فغنم وعاد. واستمر الغزو الإسلامي لجزيرة صقلية، وكان مسلمو أفريقية بحكم موقعها الجغرافي هم الذين تولوا أمر هذه الجزيرة، وكان معظمهم من البربر؛ لقلة العرب في شمال أفريقية وقتئذ، مع العلم أن البربر من أشد الشعوب التي اعتنقت الإسلام بأساً، فغزاها عباس بن أخيل، من رجال موسى بن نصير. وغزاها أيضاً محمد بن يزيد الأنصاري والي أفريقية(١).

وفي عهد أبي جعفر المنصور قام عبد الرحمن بن حبيب الفهري والي أفريقية بغزوها عام ١٣٥ ه، وكان للأغالبة حكام أفريقية النصيب الأكبر، والجهد الأهم في فتح صقلية، وإكمال فتحها.

عقد إبراهيم الأغلبي هدنة ومعاهدة مع حاكم صقلية مدتها عشر سنوات ولم يطل أمر هذه المعاهدة، بسبب مخالفة ونقض البيزنطيين الصقليين لأهم بنودها، ألا وهو رد الأسرى المسلمين إلى ديارهم، فأرسل الأغالبة عام ١٩٧ ه أسطولاً هاجم بعض الجزر التابعة لصقلية، وأرسل الإمبراطور البيزنطي أسطولاً من المدن الإيطالية الساحلية غير أن المسلمين استطاعوا أن يهزموا الأسطول البيزنطي وغنموا بعض سفنه.عاود البيزنطيون الكرة، فأرسلوا أسطولاً جديداً، فانتصروا على الأسطول الإسلامي، مما أدى إلى تجديد الهدنة مرة أخرى، ولكن أمدها لم يطل، فقد أرسل زيادة الله الأغلبي

-ثالث حكام الأغالبة في أفريقية-أسطولاً لفتح صقلية بقيادة ابن عمه، فلم يفلح في فتحها، ولكنه استطاع أن يرد الأسرى المسلمين، بعدها أرسل حملة أخرى بقيادة أسد بن الفرات لفتح صقلية.

وكان سبب فتحها أن إمبراطور الدولة البيزنطية " ميخائيل الثاني" ولى عليها "قسطنطين البطريق"، فأرسل الأمير القائد قسطنطين "بوفيموس" على رأس أسطول نهب ساحل أفريقية، ولكن الإمبراطور غضب على هذا القائد، لما بلغه من أنه اختطف راهبة من أحد الأديرة هناك،؛ ففر القائد إلى مدينة "سرقوسة" الواقعة على ساحل صقلية الشرقي، وأعلن الثورة على حاكم الجزيرة، غير أنه رأى أن لا طاقة له على مقاومة جيوش الإمبراطور وأساطيله، فلجأ إلى زيادة الله بن الأغلب أمير أفريقية، وأغراه بغزو صقلية وهوّن عليه فتحها فجهز الأمير الأغلبي جيشا وأسطولا يتألف من مائة سفينة بقيادة أسد بن الفرات قاضي القيروان وسيره لفتحها(٢).

وقد لقي المسلمون صعوبات كثيرة في فتحها ولم يتمكنوا من الاستيلاء عليها جميعها إلا في عهد إبراهيم الثاني الأغلبي سنة ٣٦٤ هـ، وقد ظلت صقلية تابعة لدولة الأغالبة حتى سقطت هذه الدولة على أيدي الفاطميين سنة ٣٩٦ هـ، فدخلت صقلية في حوزتهم ولكن العرب الذين كانوا يستوطنونها أعلنوا الثورة على الفاطميين، بزعامة أحمد بن قرهب بعد أربع سنوات من حكمهم اعترفوا بسيادة الدولة العباسية(٣).

غير أن الفاطميين تمكنوا من إخضاع الثورة، وإعادة سيطرتهم على الجزيرة، واتخذوها قاعدة حربية لأسطولهم يشنون منها الغارات على جنوب إيطاليا، وبخاصة مدينة جنوة التي تكررت غاراتهم عليها.

وقد عيّن الخليفة المنصور (ثالث خلفاء الفاطميين) الحسن بن علي بن الكلبي واليا على صقلية فوضع الحسن أساس حكومة شبه مستقلة في صقلية يتوارثها أبناؤه من بعده وفي عهد هذه الأسرة بذرت بذور الثقافة العربية، وأخذت تنمو وتزدهر على مرّ الأيام في تلك الجزيرة. ولم يتدخل العرب في الشئون الداخلية لأهل الجزيرة، بل تركوا لهم الحرية التامة في مزاولة عاداتهم وتقاليدهم، وفي أداء شعائر دينهم، واكتفوا بجباية جزية قليلة ممن لم يعتنق الإسلام منهمن، وكان مقدارها أقل بكثير من الضرائب التي كان الرومان يفرضونها عليهم، وقد أعفوا من هذه الجزية الرهبان والفقراء والنساء والأطفال والشيوخ، ولم يتعرضوا لكنائسهم بسوء.

وقد اهتم العرب بالزراعة، وأدخلوا في الجزيرة العربية زراعة قصب السكر والكتان والزيتون، وكثيرا من النباتات، وأشجار الفاكهة التي لم تكن موجودة بها من قبل، وقد ساعد خصب تربة الجزيرة على نمو زراعتها وجودة فواكهها؛ فتوفرت حاصلاتها، وكثرت مواردها. وقد مرّ الرحالة ابن جبير بها سنة ٥٨٠ هـ بعد ست وتسعين سنة من انتهاء حكم العرب بها، فأعجب بأشجار الفاكهة فيها، واسترعى انتباهه ما شاهده من جودة كرومها ولم يكن اهتمام العرب في صقلية بالصناعة أقل من اهتمامهم بالزراعة، فقد أنشأوا مصانع للورق، ومصانع للنسيج، واستخرجوا الذهب والفضة، والحديد والرصاص والنوشادر من مناجمها، وتفننوا في صناعة الأواني النحاسية وصناعة النجارة والتطعيم بالعاج وصناعة الرخام والفسيفساء وغيرها وشيدوا المساجد الفخمة والقصور الجميلة.

وقد ساعدت موارد الجزيرة الفنية، كما ساعد اشتغال العرب بالتجارة على زيادة ثروتهم؛ فعاشوا عيشة مرفهة، ومضوا منازلهم بالأثاث الفاخر، وفرشوها بأحسن أنواع السجاد، وتزينوا بأغلى أنواع الثياب، ولبست نساؤهم ثياب الحرير الموشى بالذهب وانتعلن الأخفاف المذهبة وتزيّن بالذهب والجواهر.ومنذ أوائل القرن الرابع الهجري أخذ البيزنطيون يكثرون من الغارات على الجزيرة فشغل ولاتها من قبل الفاطميين بعد هذه الغارات، وفي الوقت نفسه،

ب - النورمنديين في صقلية

قامت اضطرابات بين العرب أنفسهم داخل صقلية؛ فأدى ذلك إلى ضعفهم وعجزهم عن الدفاع عن الجزيرة، ولم يكن في وسع الفاطميين بالقاهرة أن يمدوهم بالجيوش لاضطراب الأمور فيها، فانتهز النورمانديون هذه الفرصة وأخذوا يستولون على ثغور الجزيرة ومدنها الواحدة تلو الأخرى حتى تم للملك "روجر الأول" الاستيلاء على جميع نواحي الجزيرة سنة ٤٨٣ هـ وبذلك انتهى حكم العرب فيها بعد أن استمر مائتين وعشرين عاما ولم يكن استيلاء النورمانديين على الجزيرة آخر عهد العرب بها، بل ظلوا بعد زوال الحكم العربي يقيمون فيها، وقد اعتمد حكامها النورمانديون على العناصر العربية في الشئون السياسية،

والاقتصادية؛ لأنهم كانوا على جانب كبير من الخبرة والحضارة والرقي، كما كانوا عناصر نشيطة ومنتجة(٤).

وكان "روجر الثاني" يرتدى الملابس العربية ويطرز رداءه بحروف عربية وقد نقش على سقف كنيسته التي بناها في مدينة "بارمو" نقوشا بالخط الكوفي. وكان الإدريس الجغرافي الرحالة، وأعظم رسامي الخرائط، محببا إليه مقربا عنده، وقد شجعه الملك على بحوثه الجغرافية وقدم له كل مساعدة وبذل له من المال ما مكنه من إرسال الرسل إلى كثير من الأقاليم؛ لإمداده بالمعلومات الجغرافية عنها.

وكذلك كان الملك "وليم" بن الملك روجر الثاني وحفيد الملك روجر الأول يعتمد على العرب فيقربهم إليه ويثق فيهم، وقد عبر عن ذلك شاهد عيان هو الرحالة بن جبير في حديث له عن الملك بقوله: "لا.... إنه عجيب في حسن السيرة واستعمال المسلمين، وإنه لكثير الثقة بهم، وساكن إليهم في أحواله، والمهم من أشغاله، وله منهم الأطباء، والمنجمون وهو شديد الحرص عليهم"(٥).

وقد أنشأ العرب في مدينة بالرمو، عاصمة صقلية، أول مدرسة للطب في أوربا، وعن طريقها انتشر الطب في إيطاليا، وسائر أرجاء القارة. إذن كانت جزيرة صقلية مركز إشعاع للحضارة الإسلامية العربية، أفادت منه أوربا أعظم الفائدة؛ لأن الجزيرة كانت على صلة وثيقة بالعالم الإسلامي، وبخاصة ما يقع منه على شواطئ البحر المتوسط؛ مثل الشام، ومصر وبلاد المغرب، وكانت البلاد الإسلامية في العصر الوسطى وطنا عاما للمسلمين لا فرق بين مشرقي ومغربي. فلم تكن هناك قيود على انتقال العلماء من بلد إسلامي إلى بلد آخر فكثرت تنقلاتهم، وساعد هذا على تبادل الآراء وانتقالها من جهة إلى جهة فلم تكن حضارة المسلمين في صقلية من صنع أهلها وحدهم بل كانت حضارة إسلامية شاملة لنتاجها ونتاج العالم الإسلامي كله ومن هناك ترجمت وتسربت إلى جميع أصقاع أوروبا.

لذلك لا نكون مبالغين إذا قلنا: إن صقلية ساهمت في تحضير أوروبا وتنويرها بنصيب يقرب من نصيب الأندلس، ولكنه يقّل عنه لأن رقعتها أضيق بكثير من رقعة الأندلس ولأن عدد من أنجبتهم من العلماء لم يصل في شهرته العلمية إلى ما وصل إليه علماء الأندلس. وهذا لا يغض من قيمة الدور الذي قامت به صقلية في إمداد أوروبا بكل مظاهر الحضارة ما كان منها من صنع العرب الذين استوطنوها أو مما نقلوه عن غيرهم من الدول الإسلامية الأخرى.

ثانيا: فردريك الثاني و الحضارة الاسلامية.

أ. العوامل التي شكلت موقف فردريك الثاني من الحضارة العربية الإسلامية

ولد فردريك الثاني في باليرمو، عاصمة صقلية، عام ١١٩٤م، من أب ألماني، وهو الإمبراطور هنري السادس ابن الإمبراطور فردريك بربروسا، ومن أم نورمانية، وهي كونستانس، ابنة الملك النورماني روجر الثاني ووريثته على عرش صقلية وإيطاليا الجنوبية. وحمل فرديريك الثاني من الألقاب ما لم يحمله أحدٌ سواه، حيث تُوج ملكاً على صقلية عام ١١٩٨م، وملكاً على ألمانيا عام ١٢١٢م، وإمبراطوراً على الدولة الرومانية المقدسة عام ١٢٢٠م (التي كانت تضم ألمانيا وإيطاليا وصقيلة)، وملكاً على بيت المقدس عام ١٢٢٩م.

ولكن على الرغم من ذلك كله فقد نشأ فردريك الثاني وترعرع في صقلية وأمضى معظم حياته فيها.

والواقع هناك ثلاثة عوامل رئيسية شكلت موقف فردريك الثاني الإيجابي من الحضارة العربية الإسلامية وهي:

١-تربية فردريك الثاني وثقافته: حيث لم يخضع لتربية ديرية صارمة ومتعصبة، مثل أقرانه من أبناء ملوك وأمراء العصور الوسطى في الغرب؛ وإنما كانت تربيته بعيدة كل البعد عن المؤثرات الكنسية. ومع أنه اطلع على كتابات آباء الكنيسة، وبخاصة مؤلفات القديس أوجسطين (ت٤٣٠م)، فقد كان يغلب على ثقافته الطابع العلماني، حيث كان لتراث الإغريق دورٌ في تكوينها، فقد قرأ مؤلفات أرسطو رغم تحريم البابوية لها ومصادرتها وإحراقها. كما درس تراث الرومان، ولاسيما ما كتبه فرجيل وشيشرون وقيصر وماركوس أوروليوس وغيرهم. إن هذه المؤثرات الثقافية ساعدت على تفتح عقله الفضولي على عوالم فكرية بعيدة عن فكر المدارس الأسقفية والديرية الضيقة التي كانت منتشرة في أوربا في عصره.

٢- ما ورثه فردريك الثاني عن أجداده ملوك صقلية النورمان من مآثر حضارية: إذ كان لهؤلاء النورمان

فضل في الحفاظ على حضارة العرب في صقلية بعد استيلائهم عليها عام ١٠٩١م. إذ ظل العرب في الجزيرة أكثر العناصرتحضراً، وظلت لهم السيادة المعنوية فيها، حيث اعتمد عليهم الملوك النورمان - الذين لم تكن لهم حضارة - في إدارة دولتهم وتنظيم بلاطهم وتطوير علومهم وإدارة اقتصادهم وقيادة أسطولهم. ومن منا لا يعرف المكانة الكبيرة التي حظي بها الشريف الإدريسي في بلاط الملك روجر الثاني (ت ١١٥٤م) في باليرمو، حيث وضع له عدة خرائط، وألف له كتابه المشهور «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» الذي غدا عمدة أوربا في الجغرافيا. وتؤكد المصادر أن ثلاثة من ملوك النورمان في صقلية اتخذوا ألقاباً عربية وظهرت على نقودهم ونقوشهم. وكانت اللغة العربية من اللغات المعتمدة في الدولة النورمانية إلى جانب اللاتينية واليونانية. إن السر في بقاء الحضارة العربية حية في صقلية هو سياسة التسامح التي انتهجها الملوك النورمان تجاه المسلمين في الجزيرة. وقد أكد هذه الحقائق كلها الإدريسي وابن جبير الذي كان قد زار صقلية أيام النورمان. ويهمنا أن نؤكد أن فردريك الثاني لم يرث عن أجداده النورمان في صقلية دولة وقد اصطبغت في معظم مقوماتها بالطابع العربي الإسلامي فحسب، وإنما ورث عنهم أيضاً مخزوناً ضخماً من العلاقات(٦)

٣- إن تجربة فردريك الثاني نفسه مع العرب وحضارتهم شكلت عاملاً حاسماً في تشكيل موقفه الإيجابي من الحضارة العربية الإسلامية، فالقصر الذي استقر به في باليرمو، بعد أن تُوج ملكاً على صقلية، هو قصر أحد الأمراء العرب، وكان قد بُني عام ١٠٠٠م على أيدي المهندسين العرب، الذين زينوه بالنقوش العربية وأثثوه على الطراز العربي. وأقام فردريك الثاني منذ طفولته علاقات طيبة مع أقرانه العرب في الجزيرة، وتعلم على أيدي عدد من العلماء العرب، وسمع عن أدباء العرب وفلاسفتهم من عرب صقلية قبل أن يقرأ مؤلفاتهم. ولا شك أن صور الطفولة وانطباعاتها تشكل اتجاهات الفكر والعقل. ثم أخذ اتصاله بالعرب وحضارتهم يتوسع ويتعمق مع إتقانه اللغة العربية وتوطد علاقاته مع سلاطين الأيوبيين في مصر والشام، أمثال السلطان الكامل وابنه الملك الصالح، ومع الخلفاء الموحدين في المغرب أمثال عبدالواحد الرشيدي. ثم ازدادت معرفته بالحضارة العربية الإسلامية عندما قاد حملته الصليبية المعروفة بالسادسة (١٢٢٨-١٢٢٩م) إلى الشام، هذا فضلاً عن الحوارات العلمية والفلسفية التي دارت بينه وبين العلماء المسلمين المشارقة منهم والمغاربة(٧).

كان الامبراطور فردريك شديد الإعجاب بالحضارة العربية الإسلامية وتأثر بها تأثراً عميقاً، كما لم يقتصر تأثره بها على حياته الشخصية وبلاطه فحسب، وإنما امتد ليشمل مؤسسات دولته العلمية منها والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية.لقد استعان فردريك الثاني بالمسلمين وخاصة الذين رحلهم إلى لوشيره في مجال العسكر والثقافي

ب-اثر الحضارة العربية في نشأ الجامعات في عهد فردريك الثقافي

١-جامعة بولونيا

جامعة بولونيا (بالإيطالية: Università di Bologna) هي جامعة دولة في بولونيا وأقدم جامعة في أوروبا، تأسست عام ١٠٨٨. جامعة بولونيا هي أيضا ثاني أكبر جامعة في إيطاليا بعد جامعة لا سابينزا في روما. على الرغم من أنّ كلية القسطنطينية في الإمبراطورية البيزنطية تعتبر أقدم مؤسسة تعليم عالي في التاريخ، الا أنّ جامعة بولونيا تعتبر وفقًا للمؤرخين أقدم جامعة بالمفهوم الحديث للتعليم العالي. وكانت الجامعة بدأت كمدرسة كتدرائية أو مدرسة رهبانية مرتبطة بالكنيسة الكاثوليكية ثم سرعان مإنفصلت مع زيادة عدد الطلاب

الأساتذة المشهورين في هذه الجامعة هم رومانو برودي، وأومبيرتو إكو. كان دانتي أليغييري وفرانشيسكو بتراركا قد أمضوا فترات الدراسة أيضا في جامعة بولونيا. تقدم الجامعة مواد دراسية في الزراعة والفن والعلوم والهندسة والقانون والرياضيات والطب والصيدلة وتدريب المهندسين والطب البيطري. من الجدير بالذكر أن جامعة بولونيا هي أول جامعة في العالم تمنح الدرجة العلمية "الدكتوراه" وكان ذلك في عام ١٢١٩

لقد تزعمت جامعة بولونيا النهضة القانونية في ايطاليا ، وكان أول أعتراف رسمي بالأساتذة والطلاب في مدن شمال ايطاليا سنه ١١٥٨م عندما أصدر الإمبراطور فردريك براءة تضمنت بعض الامتيازات لاساتذه والطلاب في المدن اللمباردية بصفة عامة ، ولم تنص هذه

الوثيقة صراحة على قيام رابطة رسمية للطلبة أو الأساتذة ، وإنما ترجع أول إشارة في وثائق ذلك العصر إلى قيام تلك الرابطة إلى سنة ١٢١٥م(٨)

٢-جامعة نابولي

جامعة نابولي فيدريكو الثاني (بالإيطالية: Università degli Studi di Napoli Federico II) هي جامعة إيطالية مقرها مدينة نابولي الإيطالية. تأسست سنة ١٢٢٤ وقُسّمت إلى ١٣ كلية، وهي أقدم جامعة حكومية في العالم وواحدة من أقدم المؤسسات الأكاديمية التي ما زالت تعمل إلى اليوم. سميت الجامعة بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها الإمبراطور فريدريك الثاني.

وتوج فريدريك الثاني أعماله الجميلة بتأسيسه جامعة نابل في أيطاليا الجنوبية وأودعها مجموعة كبيرة من كتبه الخاصة، ودرست فيها مؤلفات ابن رشد، وهذا عمل له قيمته، لأن أوروبا عادت فلسفة ابن رشد مدة طويلة، وقيمة جامعة نابل أنها أول جامعة رسمية، وكانت الجامعات الأخرى إلى ما بعد ذلك العهد جامعات أهلية تابعة للأديرة والكنائس، وكانت تقوم على التبرعات والهبات، أما جامعة نابل فقد نشأت ملكية مشمولة برعاية إمبراطور عالم واستعارت منها بعض الجامعات الأخرى، وعلى الأخص جامعة باريس ما لديها من التراجم التي أمر بها فريدريك، ومن الذين تخرجوا في هذه الجامعة توما الإكويني، وأثره معروف في نشر الفلسفة والثقافة الشرقية في أوروبا ومن أشهر خريجي هذه الجامعة عالم اللاهوت الكاثوليكي والفيلسوف القديس توما الأكويني.(٩)

ثالثا: حركة الترجمة والتبادل الفكري والثقافي

كان لتربية وتعلا لإمبراطور "فردريك الثاني" في صقلية وتأثره بالحضارة الاسلامية ؛ فنشأ محبا للعلوم العربية وكان يحسن التكلم باللغة العربية. وقد أفاض المؤرخون العرب والأوربيون في وصف حبه للمسلمين، وإعجابه بعلومهم، وحضارتهم، وأخلاقهم، وتقريبه لهم واستخدامهم في حاشيته حتى أن الموذنين المسلمين كانوا يؤذنون عند موعد كل صلاة في معسكره(١٠)

وقد قامت بين الإمبراطور "فرديك الثاني" وبين السلطان الأيوبي الكامل محمد بن آخي صلاح الدين صداقة متينة، وكانا يتبادلان السفارات والهدايا. فتذكر المصادر التاريخية أن السلطان الكامل أرسل هدية إلى الإمبراطور، كان من بينها زرافة كانت أول زرافة دخلت أوربا، وأن الأشراف الأيوبي صاحب دمشق أرسل إليه جهازا عجيبا للكواكب في صدر تمثل الشمس والقمر، وتحدد الساعات في مداراتهما، وأن الإمبراطور أرسل هدايا لكل من الكامل والأشرف منها دب أبيض وطاووس أبيض أعجبا أهل القاهرة ودمشق، كما أعجبت الزرافة وجهاز الكواكب أهل صقلية(١١)

وقد استمرت الصداقة قائمة بين "فردريك الثاني" وسلاطين مصر بعد وفاة السلطان الكامل سنة ٦٣٥ هـ؛ يدلّ على ذلك ما أشارت إليه المراجع التاريخية من أن الإمبراطور حذر الصالح نجم الدين أيوب عندما علم بنية ملك فرنسا "لويس التاسع" القيام بالحملة الصليبية السابعة ضد مصر سنة ٦٤٧ هـ حيث أرسل إليه- وهو بدمشق- رسولا تظاهر بأنه تاجر، وأسرّ إليه بأن لويس التاسع يعتزم توجيه حملة إلى مصر؛ للاستيلاء عليها، فأسرع الصالح بالعودة إلى مصر للدفاع عنها.

لقد استفاد ستفاد فريدريك من العالم وسفير ابن يوسف حمويه سفير الملك الكامل لديه خلال إقامته في صقلية أو خلال لقائهما ثانية في الشرق أثناء لقاء فريدريك الثاني بالملك الكامل في فلسطين سنة ١٢٢٩ م، واستفاد أيضا من العالم والشاعر والفيلسوف صلاح الدين الأربلي.

كذلك استفادت صقلية وأوربا من كتاب "المسائل الصقلية"، وهي المسائل التي وجهها فريدريك الثاني إلى علماء المسلمين، وأجاب عنها الفيلسوف الأندلسي ابن سبعين بأمر الخليفة الرشيد خليفة طلب فريدريك الثاني حل العديد من المسائل الرياضية والفلكية والفلسفية، فلم يكشف بما أمده ابن سبعين، بل إن الملك الكامل دعا العالم الرياضي "تعاسيف" (علم الدين قيصر الأسفوني الصعيدي الحنفي) للإجابة عن كل ما طلبه الملك فريدريك الثاني (تمت ترجمة لفريدريك الثاني كتاب الحيوانات من قبل مستشاره، وهو الفيلسوف ميشال اسكوتوس، وتمت كذلك ترجمة له كتاب البيطرة وشروح ابن رشد، وكتاب الشباب والملامح ٤) ولا شك أن هذه الكتب أو النسخ منها قد انتقلت إلى: للرازي كذلك ارسل الملك الكامل المنجم ثيودورس الذي كان يجيد اللغة العربية.

وهكذا نلاحظ أن جزيرة صقلية كانت

ولا تزال تمثل معبرا حضاريا مهما للتفاعل الحضاري بين الشرق والغرب، وبين العرب المسلمين من جهة، والغرب من جهة ثانية، وأن العلاقات الحضارية لم تكن أقل تأثيرا من العلاقات العسكرية، بل كانت أكثر فعالية وتأثيرا،ولهذا، فإن بالرمو لا تزال إلى الآن تتميز بالروح العربية والإسلامية في كثير من مظاهرها العمرانية والاجتماعية والثقافية. كما نجد أن هناك حرصا من الصقليين على إحياء العلاقات الحضارية بينهم وبين العرب، فقد افتتح سنة ١٩٥٩ م في جامعة بالرمو قسم خاص لتعليم اللغة العربية وآداءا، مع الحرص الشديد على إحياء التراث الصقلي العربي، من خلال الدراسات التاريخية والمؤلفات والبحوث المتنوعة(١٢)

١ - استقدم فردريك الثاني إلى بلاطه في باليرمو عدداً من العلماء، الذين نقلوا له الكثير من مؤلفات الإغريق والعرب المسلمين، من العربية إلى اللاتينية. وكان في مقدمة هؤلاء العالم ميخائيل سكوت (الاسكتلندي) الذي منحه لقب «فيلسوف البلاط». وقد ترجم سكوت عدداً من كتب أرسطو من العربية إلى اللاتينية، منها: كتاب «الحيوان» و«الآثار العلوية» و«السماء والعالم» وغيرها. كما ترجم سكوت كتاب «علم الحيوان» لابن سينا، ومؤلفات كثيرة لابن رشد مثل: «شرح الميتافيزيقيا» و«شرح الآثار العلوية» و«في جوهر الكون» و«شرح السماء والعالم»، وكذلك كتاب في الهيئة (علم الفلك) للبتروجي. كما استقبل فردريك الثاني في بلاطه العالم الرياضي الإيطالي ليوناردو البيزاوي وشجعه على استخدام الأرقام العربية وعلم الجبر العربي والعزوف عن الأرقام الرومانية المربكة. وبالفعل كان لهذا التشجيع الفضل في إدخال الأرقام العربية إلى الغرب. كما جذب بلاط فردريك الثاني عدداً من العلماء العرب مثل ثيودور الأنطاكي الذي كان عالماً في الفلسفة والرياضيات والفلك والطب، وقد عمل ثيودور طبيباً خاصاً للإمبراطور وترجم له الكثير من المؤلفات العربية إلى اللاتينية(١٣).

٢ - أفاد فردريك الثاني من التراث العربي في تطوير التعليم الجامعي في بلاده. فقد طور مناهج كلية الطب في جامعة سالرنو (التي كانت قد أسست في القرن التاسع الميلادي) تطويراً كبيراً بناءً على ما سبق أن ترجمه قسطنطين الأفريقي (ت١٠٨٧م) من مؤلفات طبية من العربية إلى اللاتينية. وشكلت سالرنو مركزاً مهماً لنقل علوم العرب الطبية إلى أوربا. كما حظيت العلوم التي نُقلت من العربية إلى اللاتينية بمكانة كبيرة في مناهج جامعة نابولي التي أسسها فردريك الثاني عام ١٢٢٤م، لاسيما تلك المتعلقة بالطب والرياضيات والفلسفة، بل جعل فردريك من جامعة نابولي أكاديمية لنقل العلوم العربية إلى الغرب.

٣ - كان فردريك شغوفاً بالعلم والمعرفة، حتى أن حاشيته كانت تحمل له في كل أسفاره مكتبة متنقلة لا تقل محتوياتها عن مائة كتاب. وكان له اهتمام شخصي بالفلسفة اليونانية والإسلامية، وطالما أنه لم يكن في بلاطه، وفي أوربا عامة، من يشفي غليله العلمي، ويجيب عن تساؤلاته الفلسفية، فقد اعتاد الحوار مع الفلاسفة والعلماء العرب سواء في صقلية أو في خارجها. فمن المعروف أن فردريك بعث مجموعة من الأسئلة، عرفت بـ «المسائل الصقلية» إلى الخليفة الموحدي عبدالواحد الثاني الرشيدي (ت ١٢٤٢م) والذي أحالها بدوره إلى الفيلسوف والصوفي ابن سبعين، وهي تتعلق بنظرية أرسطو حول أزلية العالم وقضية المقولات العشر وخلود الروح والعلم الإلهي...الخ. وقد كتب ابن سبعين رسالته المعروفة «الأجوبة على المسائل الصقلية» رداً على أسئلة الإمبراطور. كما اعتاد الإمبراطور أن يبعث إلى صديقه السلطان الكامل بمسائل في الفلسفة والهندسة والرياضيات فيعرضها بدوره إلى العلماء في مصر والشام أمثال، الشيخ علم الدين الحنفي، للإجابة عنها. وهذه الحوارات بين فردريك والعلماء العرب تكشف عن عمق ثقافة الإمبراطور من ناحية، وتدل على نبوغ العلماء والفلاسفة العرب المسلمين ودورهم في نهضة الغرب من ناحية أخرى(١٤).

كذلك تتشير المصادر التاريخية أن فردريك كان قد تزوج من أميرة أسبانية وكانت معها وصيفتها وكان لذلك الاثر الكبير في انتشار الحضارة العربية الاسرمية ، كذلك شارك فردريك اولادة في تدرب على الشعر الغنائي الذي كان متاثر بالشعر العربي ، والذي يعتبر بمثابة

النواة الاول للادب اليطالي الكلاسيكي ، وفي ذلك ذكر الشاعر بترارك١٣٤٧م في زمن قصر شاع ذلك الشعر الذي انبثق من صلقية ومنها الي كل ايطاليا حيث انتشر في كل اوروبا، ومما تجدر ملاحضة أن اشعار بتراراك ودانتي قد تاثر بالاشعار والادب العربي وقد ظل العرب يحتفظون بضياعهم وأموالهم ومتاجرهم ومصانعهم في الجزيرة، ويزاولون نشاطهم الزراعي والتجاري والصناعي بحرية تامة، كما ظلت اللغة العربية شائعة في الجزيرة، وكان ملوك النورماند يحسنون التكلم بها ويطربون لأدبها وشعرها. ويظهر أن استعمالها استمر إلى أواخر القرن التاسع الهجري؛ ويؤيد ذلك شواهد القبور التي عثر عليها علماء الآثار حديثا سواء كانت قبور مسلمين أم قبور مسيحيين. وقد ترك العرب في جزيرة صقلية كثيرا من عاداتهم وتقاليدهم، التي لا تزال باقية حتى الآن، كما تركوا ألفاظا عربية كثيرة في اللغة الصقلية والإيطالية. ولا تزال مدن كثيرة في الجزيرة تحمل أسماء عربية. وفي مدينة بارمو مبنيان عظيمان من مباني العرب أحدهما قلعة العزيزة والآخر قصر القبة. ومما تقدم يتبين أن الحضارة الإسلامية ازدهرت في الجزيرة نحو ستة قرون من الزمن وقد خرّجت صقلية العربية عددا غير قليل من المحدثين والفقهاء والنحويين والأدباء والمؤرخين والجغرافيين والأطباء والفلاسفة. نذكر منهم على سبيل المثال أسد الدين بن الحارث، صاحب كتاب الأسديات في الفقه، والقاضي ميمون بن عمر، وابن حمد يس الصقلي الشاعر المبدع، والشريف الإدريسي الجغرافي المحقق، والحسن بن يحي المعروف بابن الخزاز صاحب تاريخ صقلية، وعيسى بن عبد المنعم، وكان من أهل العلم بالهندسة والنجوم والحكمة، وأبو عبد الله الصقلي الفيلسوف وغيرهم كثير (١٥).

خلف العلماء المسلمون تراثا غنيا في مجال الآداب والعلوم خاصة في الطب والرياضيات والفلك،حيث تم استغلالها في تدبير الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمسلمين.أما في ما يخص فنون العمارة والزخرفة فقد اهتم المسلمون بتشييد المساجد والقصور وإقامة مدن جديدة بمختلف مرافقها. مستعملين في ذلك مختلف فنون الزخرفة والرسم والنقش.وفي الوقت الذي عرفت فيه الحضارة العربية الإسلامية ازدهارا كبيرا.

الخاتمة

وهكذا يتضح لنا من خلال دراسة الإمبراطور فريدريك الثاني وحركة الترجمة في صقلية وأثرها على اللغة العربيةعدد نتائج نوجزها في التالي:

١. أخذت الثقافة العربية تنمو وتزدهر على مرّ الأيام في جزيرة صقلية. ولم يتدخل العرب في الشئون الداخلية لأهل الجزيرة، بل تركوا لهم الحرية التامة في مزاولة عاداتهم وتقاليدهم، وفي أداء شعائر دينهم، واكتفوا بجباية جزية قليلة ممن لم يعتنق الإسلام منهمن،
٢. لم يكن استيلاء النورمانديين على الجزيرة آخر عهد العرب بها، بل ظلوا بعد زوال الحكم العربي يقيمون فيها، وقد اعتمد حكامها النورمانديون على العناصر العربية في الشئون السياسية، والاقتصادية؛ لأنهم كانوا على جانب كبير من الخبرة والحضارة والرقي، كما كانوا عناصر نشيطة ومنتجة
٣. كان الامبراطور فردريك شديد الإعجاب بالحضارة العربية الإسلامية وتأثر بها تأثراً عميقاً، كما لم يقتصر تأثره بها على حياته الشخصية وبلاطه فحسب، وإنما امتد ليشمل مؤسسات دولته العلمية منها والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية.لقد استعان فردريك الثاني بالمسلمين وخاصة الذين رحلهم إلى لوشيره في مجال العسكر والثقافي
٤. كانت حاشية الامبراطور فريدرك تحمل له في كل أسفاره مكتبة متنقلة لا تقل محتوياتها عن مائة كتاب. وكان له اهتمام شخصي بالفلسفة اليونانية والإسلامية
٥. جزيرة صقلية كانت ولا تزال تمثل معبرا حضاريا مهما للتفاعل الحضاري بين الشرق والغرب، وبين العرب المسلمين من جهة، والغرب من جهة ثانية، وأن العلاقات الحضارية لم تكن أقل تأثيرا من العلاقات العسكرية، بل كانت أكثر فعالية وتأثيرا
٦. ظلت اللغة العربية شائعة في الجزيرة، وكان ملوك النورماند يحسنون التكلم بها ويطربون لأدبها وشعرها. ويظهر أن استعمالها استمر إلى أواخر القرن التاسع الهجري؛ ويؤيد ذلك شواهد القبور التي عثر عليها علماء الآثار حديثا سواء كانت قبور مسلمين أم قبور مسيحيين

قائمة المصادر والمراجع

١. ابن الأثير: عزالدين أبى الحسن ، "الكامل في التاريخ" ، ج١ ،(بيروت: دار صادر ١٩٦٦م)
٢. ابن جبير: أبو الحسين محمد ، "رحلة ابن جبير" ، (بيروت: دار صادر ١٩٦٤م)
٣. ابن حوقل:ابو قاسم محمد ،"صورة الارض "،جزء الثاني،(بيروت ، دار مكتبة الحياة ،١٩٧٩م)
٤. ابن واصل:جمال الدين محمد ،"مفرج الكروب في أخبار بني ايوب"،تحقيق جمال الدين الشيال ج٤،(القاهرة ،دار إحياء التراث القديم ،١٩٧٢)
٥. أحمد: عزيز ،تاريخ صقلية الاسلامية،(الدار العربية للكتاب، طرابلس ،١٩٨٠م)
٦. أبو عبد الله بن محمد الادريسى نزهة المشتاق في إختراق الآفاق"،الجزء الثاني ،بريل ، ليدن
٧. أماري:ميشيل ،"المكتبة العربية الصقلية "،نصوص في تاريخ والبلدان والترجم والمراجع،ليبسك ١٨٥٧
٨. الجمل: شوقي عطا الله ، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة.- القاهرة: المكتب. المصري لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠٠
٩. حلاق:احسان ،"دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية"،(بيروت ، دارالنهضة العربية، ، ٢٠٠٢)
١٠. حامد زيدان ،"تاريخ الحضارة الاسلامية في صقلية"،(القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٧٧م)
١١. شلبي:عبد الجليل "حضارة العرب في صقلية وأثرها في النهضة الأوروبية" منشورة بمجلة الأمة، العدد ٢٧ ، ربيع الأول ١٤٠٣ ه، ومتاح بالفسطاط: المجلة التاريخية بتاريخ ٨يناير ٢٠٠٩
١٢. سيد:أشراف صالح محمد ، قراءة في تاريخ وحضارة أوربا العصور الوسطى- الطبعة الالكترونية الأولى- بيروت: شركة.(الكتاب الالكتروني العربي، ٢٠٠٨. ص ٧٧ ، (سلسلة المؤرخ الصغير؛ ٤
١٣. المقريزي:تقي الدين أمحمد ا، السلوك لمعرفة دول الملوك ج١ ،(القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٤م).
١٤. نوار:عبد العزيز سليمان ، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية. الأولى، القاهرة:دار الفكر العربي، ١٩٩٩
١٥. يوسف:جوزيف نسيم ،"نشأة الجامعات في العصور الوسطى"،(بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١م)

الهوامش

(١) ابو قاسم محمد ابن حوقل ،"صورة الارض "،جزء الثاني،(بيروت ، دار مكتبة الحياة ،١٩٧٩م)،ص١١٣،الادريسى نزهة المشتاق في إختراق الآفاق"،الجزء الثاني ،بريل ، ليدن ، ص٥٩٥،٥٩٠، حامد زيدان ،"تاريخ الحضارة الاسلامية في صقلية"،(القاهرة ، دار الثقافة ، ١٩٧٧م)،،ص١٢،١١
(٢) أبو الحسين محمد ابن جبير ، "رحلة ابن جبير" ، (بيروت: دار صادر ١٩٦٤م) ص٣٣١
(٣) تقي الدين أمحمد المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ج١ ،(القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٤م).ص٣٨٢
(٤) عزيز أحمد ،تاريخ صقلية الاسلامية،(الدار العربية للكتاب، طرابلس ،١٩٨٠م)ص ٤٧٢
(٥) رحلة ابن جبير ص ٢٢٨
(٦) شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، تاريخ أوروبا من النهضة حتى الحرب الباردة.- القاهرة: المكتب. المصري لتوزيع المطبوعات، ٢٠٠٠ ، ص ٩٠
(٧) أشراف صالح محمد سيد، قراءة في تاريخ وحضارة أوربا العصور الوسطى- الطبعة الالكترونية الأولى- بيروت: شركة.(الكتاب الالكتروني العربي، ٢٠٠٨. ص ٧٧ ، (سلسلة المؤرخ الصغير؛ ٤
(٨) المرجع السابق ، ص ٧٧
(٩) جوزيف نسيم يوسف ،"نشأة الجامعات في العصور الوسطى"،(بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨١م)،ص ٢٥٤

(١٠) جمال الدين محمد ابن واصل ،"مفرج الكروب في أخبار بني ايوب"،تحقيق جمال الدين الشيال ج٤،(القاهرة ،دار إحياء التراث القديم ،١٩٧٢) ،ص٢٤٥

(١١) عزالدين أبى الحسن ابن الأثير ، "الكامل في التاريخ" ، ج١ ،(بيروت: دار صادر ١٩٦٦م) ص ٥٣،٥٤

(١٢) احسان حلاق، ٢٠٠٣،ص٤،٥

(١٣) عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية. الأولى، القاهرة:دار الفكر العربي، ١٩٩٩ ،ص ٩

(١٤) عبد الجليل شلبي بعنوان "حضارة العرب في صقلية وأثرها في النهضة الأوروبية" منشورة بمجلة الأمة، العدد ٢٧ ، ربيع الأول ١٤٠٣ ه، ومتاح بالفسطاط: المجلة التاريخية بتاريخ ٨يناير ٢٠٠٩

(١٥)ميشيل أماري،"المكتبة العربية الصقلية "،نصوص في تاريخ والبلدان والترجم والمراجع،ليبسك ١٨٥٧ ج١،ص ٤٧٢